مِنْ جالباتِ التَّعاسَةِ ومُنَغِّصاتِ الشَّقاءِ ، عَكْسَ ما تَلْقاهُ أَنْتَ مِنْ جالباتِ الطُّمَأْنينَةِ وَأَسْبابِ الهَناءِ ! شَدَّ ما اخْتَلَفَ القِسْمُ ! وشَتَّانَ بَيْنَ حالَيْنا ! فأَنْتَ تَنامُ وتَصْحُو كَما تَشاءُ ! أَمَّا أَنا ؛ فَلا يَكادُ الفَجْرُ يَطْلُعُ حَتَّى يُوقِظَنِى الزَّارِعُ لِجَرِّ المِحْراثِ ، وَإِدارَةِ السَّاقِيَةِ أَوِ الطَّاحُونَةِ ، وما إِلى ذٰلِكَ مِنْ مُرْهِقِ الأَعْمالِ . فإِذا انْقَضَى اليَوْمُ ، رَجَعْتُ إِلَى الإِصْطَبْلِ ، فَلَمْ أَجِدْ مِنَ الغِذاءِ ما يَكْفِينِى . وَغِذائِى — عَلَى قِلَّتِهِ — غَيْرُ مَعْنِيٍّ بِنَظافَتِهِ . لا يُعْنَى بِهِ أَحَدٌ ، وَلا يُنَقِّيهِ مِمَّا عَلِقَ بِهِ مِنَ التُّرابِ وَالْمَدَرِ (قِطَعِ الطِّينِ الْيابِسِ) . »

١٢ — نَصِيحَةُ « أَبِي تَوْلَبٍ »

وَسَكَتَ « آزادُ » قَلِيلًا ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلى « شَهْرَزادَ » ، مُسْتَأْنِفًا حَدِيثَهُ ، قالَ :

وَهُنا تَأَلَّمَ « أَبُو تَوْلَبٍ » لِصاحِبِهِ — كَما تَأَلَّمْتِ أَنْتِ لِصَواحِبِكِ — وقالَ لَهُ مَحْزُونًا :

« شَدَّ ما حَزَنَتْنِى شَكْواكَ ، وَإِنْ كُنْتُ لا أُعْفِيكَ مِنَ اللَّوْمِ ، عَلَى رِضائِكَ بِالهَوانِ وَالضَّيْمِ ، بِرَغْمِ ما وَهَبَ اللهُ لَكَ مِنْ بَسْطَةٍ فِى جِسْمِكَ ، وَوَفْرَةٍ فِى قُوَّتِكَ . وَلَوْ شِئْتَ الرَّاحَةَ لَما عَزَّتْ عَلَيْكَ ؛ وَلَنْ تُعْوِزَكَ الحِيلَةُ إِذا أَرَدْتَ الْخَلاصَ . وماذا عَلَيْكَ إِذا دَعَوْكَ إِلى جَرِّ المِحْراثِ ، فَتَصَنَّعْتَ المَرَضَ ، وتَظاهَرْتَ بِالضَّعْفِ ، فَأَلْقَيْتَ بِجِسْمِكَ عَلَى الأَرْضِ ، كَأَنَّكَ خائِرُ القُوَى ، لا قُدْرَةَ لَكَ عَلَى العَمَلِ ؟ وماذا يَضِيرُكَ إِذا تَظاهَرْتَ بِالْجُنُونِ ، وَرُحْتَ تَقْفِزُ ثائِرًا ، ضارِبًا الأَرْضَ بِأَرْجُلِكَ ؟ وَهَيْهاتَ أَنْ يُرْغِمُوكَ عَلَى الْعَمَلِ ، فِى كِلْتا الحالَيْنِ ، مَهْما يَبْذُلُوا مِنْ جُهُودٍ . »

١٣ — جَزاءُ النَّصِيحَةِ

فَشَكَرَ « الأَخْنَسُ » لِـ « أَبِي تَوْلَبٍ » نَصِيحَتَهُ . وَعادَ « عَمَّارٌ » إِلَى دارِهِ مُتَعَجِّبًا مِمَّا سَمِعَ . ثُمَّ جاءَهُ الزَّارِعُ فِى صَباحِ اليَوْمِ التَّالِى ، وَأَفْضَى إِلَيْهِ بِعَجْزِ الثَّوْرِ عَنِ العَمَلِ لِمَرَضِهِ . فَأَدْرَكَ التَّاجِرُ أَنَّ « الأَخْنَسَ » قَدِ اسْتَمَعَ إِلَى نُصْحِ « أَبِي تَوْلَبٍ » . فَأَمَرَ الزَّارِعَ أَنْ يُحِلَّ « أَبا تَوْلَبٍ » مَكانَ صاحِبِهِ فِى حَرْثِ الأَرْضِ . فَكانَ أَشْأَمَ يَوْمٍ لَقِيَهُ الحِمارُ فِى حَياتِهِ . وَلَمْ يَكَدِ النَّهارُ يَنْقَضِى ، حَتَّى عادَ « أَبُو تَوْلَبٍ » المِسْكِينُ

إِلَى زَرِيبَتِهِ ، خائِرَ الْعَزْمِ ، مُحَطَّمَ الْأَعْصابِ ، يَحْسَبُهُ مَنْ رَآهُ نِصْفَ مَيِّتٍ ، أَوْ نِصْفَ حَيٍّ .

١٤ – سِكِّينَةُ الْجَزَّارِ

وَلَمْ يَكَدْ « أَبُو تَوْلَبٍ » يَعُودُ إِلَى الْإِصْطَبْلِ ، حَتَّى سَأَلَ الثَّوْرَ : « كَيْفَ أَنْتَ الْيَوْمَ ؟ » فَأَجابَهُ راضِيًا مَسْرُورًا : « لَقَدْ أَرَحْتَنِي مِنَ الْعَمَلِ طُولَ الْيَوْمِ ، فَما أَدْرِي كَيْفَ أَشْكُرُكَ عَلَى نَصِيحَتِكَ الْبارِعَةِ ؟ » فَسَأَلَهُ « أَبُو تَوْلَبٍ » ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الْحُزْنُ ، وَاشْتَدَّ بِهِ الضِّيقُ : « فَماذا أَنْتَ صانِعٌ غَدًا ؟ » فَقالَ « الْأَخْنَسُ » : « لَقَدْ رَأَيْتُ – فِي نَصِيحَتِكَ الثَّمِينَةِ – خَيْرَ وَسِيلَةٍ لِهَناءَتِي وَراحَتِي . وَلَنْ أُخالِفَ لَكَ رَأْيًا بَعْدَ الْيَوْمِ . » فَقالَ « أَبُو تَوْلَبٍ » : « إِنَّ مَحَبَّتِي لَكَ تَحْتِمُ عَلَيَّ أَنْ أُبَصِّرَكَ بِمَواطِنِ الْأَخْطارِ ، قَبْلَ أَنْ تَتَعَرَّضَ لَها . فَقَدْ آذَيْتُكَ ، مِنْ حَيْثُ أَرَدْتُ أَنْ أَنْفَعَكَ ! » فَسَأَلَهُ « الْأَخْنَسُ » مُتَعَجِّبًا :

« كَيْفَ تَقُولُ آذَيْتَنِي ؟ لَقَدْ أَرَحْتَنِي وَأَسْعَدْتَنِي ! » فَقالَ « أَبُو تَوْلَبٍ » : « لَقَدْ سَمِعْتُ مالِكَنا التّاجِرَ ، يَقُولُ لِحارِسِنا الزّارِعِ : « إِذا لَمْ يُشْفَ « الْأَخْنَسُ » مِنْ مَرَضِهِ غَدًا فَاسْتَدْعِ لَهُ الْجَزّارَ لِيَذْبَحَهُ ، لِنَنْتَفِعَ بِلَحْمِهِ ، قَبْلَ أَنْ يَشْتَدَّ بِهِ الْمَرَضُ فَيَمُوتَ . » فَارْتَعَبَ « الْأَخْنَسُ » مِمّا سَمِعَ . وَأَقْبَلَ عَلَى صاحِبِهِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ النَّصِيحَةَ ، لِلْخُرُوجِ مِنْ هٰذا الْمَأْزِقِ . فَقالَ « أَبُو تَوْلَبٍ » : « الرَّأْيُ عِنْدِي أَنْ تَعُودَ إِلَى سابِقِ عَهْدِكَ ، فَتُقْبِلَ عَلَى الطَّعامِ بِشَهِيَّةٍ ، وَتَنْشَطَ إِلَى عَمَلِكَ فِي صَباحِ الْغَدِ ، حَتَّى تَأْمَنَ سِكِّينَةَ الْجَزّارِ . »

فَشَكَرَ « الْأَخْنَسُ » لِـ « أَبِي تَوْلَبٍ » نَصِيحَتَهُ ، وَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِي قَبُولِها .

١٥ – عِنادُ الزَّوْجِ

وَسَمِعَ « عَمّارٌ » حِوارَهُما – وَهُوَ جالِسٌ مَعَ زَوْجِهِ « نَوارَ » – فَلَمْ يَتَمالَكْ أَنِ اسْتَغْرَقَ فِي الضَّحِكِ ، مُتَعَجِّبًا مِنْ حِيلَةِ « أَبِي تَوْلَبٍ » ، وَغَفْلَةِ « الْأَخْنَسِ » . فَسَأَلَتْهُ « نَوارُ » : « مِمَّ تَضْحَكُ يا عَمّارُ ؟ » فَقالَ لَها : « ذَكَرْتُ شَيْئًا ، فَضَحِكْتُ . » فَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ فِي السُّؤالِ ، لِيُخْبِرَها بِجَلِيَّةِ الْأَمْرِ . فَقالَ لَها : « إِنَّهُ سِرٌّ اسْتَوْدَعَنِيهِ صاحِبٌ لِي

قَدِيمٌ مِنَ الْجِنِّ ، لا يَسَعُنِي مُخالَفَتُهُ ، وَقَدْ أَنْذَرَنِي بِالْهَلاكِ الْعاجِلِ إِذا بُحْتُ بِسِرِّهِ لِأَيِّ إِنْسانٍ ، أَوْ أَطْلَعْتُ عَلَيْهِ كائِناً كانَ . »

وَهُنا الْتَفَتَ « آزادُ » إِلَى فَتاتِهِ « شَهْرَزادَ » ، وَهُوَ يَقُولُ : « كانَتْ « نَوارُ » مُتَشَبِّثَةً بِرَأْيِها . وَلَمْ تَكُنْ أَقَلَّ مِنْكِ إِصْرارًا وَعِنادًا ، فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ تُرْغِمَ « عَمَّارًا » عَلَى الْإِفْضاءِ لَها بِسِرِّهِ ، مَهْما تَكُنِ الْعَواقِبُ . وَاسْتَدْعَى الزَّوْجانِ أَقارِبَهُما الْأَدْنَيْنَ . وَاحْتَكَما إِلَيْهِمْ ، فَأَجْمَعُوا عَلَى خَطَإِ « نَوارَ » ؛ فَلَمْ تُذْعِنْ لِحُكْمِهِمْ ، وَتَرَكَتْهُمْ مُغْضَبَةً حانِقَةً ، وَأَقْفَلَتْ بابَ حُجْرَتِها عَلَيْها .

١٦ — حِوارُ الدِّيكِ



وَخَرَجَ « عَمَّارٌ » إِلَى دَسْكَرَتِهِ ، لِيُرَفِّهَ عَنْ نَفْسِهِ . وَكانَ فِي فِنائِها دِيكٌ وَخَمْسُونَ دَجاجَةً . وَكانَ يَجْلِسُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْها كَلْبُهُ الْأَمِينُ . فَرَأَى الدِّيكَ يَنْقُرُ إِحْدَى دَجاجاتِهِ ، ثائِرًا مُغْتاظًا . وَسَمِعَ الْكَلْبَ يَنْهاهُ عَنْ قَسْوَتِهِ ، وَيَلُومُهُ عَلَى شَراسَتِهِ ، قائِلًا : « ما أَجْدَرَكَ أَنْ تَقْتَدِيَ بِأَخْلاقِ مالِكِنا « عَمَّارٍ » الَّذِي يَتَرَفَّقُ بِنا ، وَلا يَقْسُو عَلَيْنا ، وَلَوْ أَسَأْنا فِي مُعامَلَتِنا . » فَلا يَكادُ الدِّيكُ يَسْتَمِعُ إِلَى نَصِيحَةِ الْكَلْبِ حَتَّى يَسْخَرَ مِنْهُ قائِلًا : « أَتُرِيدُنِي عَلَى أَنْ أَقْتَدِيَ بِـ « عَمَّارٍ » فِي لِينِهِ وَضَعْفِهِ ؟ أَيْنَ عَجْزُهُ مِنْ قُوَّتِي ، وَاسْتِكانَتُهُ مِنْ جُرْأَتِي ؟ إِنَّنِي أَسُوسُ — بِحَزْمِي — خَمْسِينَ دَجاجَةً ، لا تَجْرُؤُ واحِدَةٌ مِنْهُنَّ عَلَى عِصْيانِي . أَمَّا « عَمَّارٌ » ؛ فَيَعْجِزُ عَنْ سِياسَةِ « نَوارَ » وَحْدَها ، وَيَقِفُ حائِرًا مَكْتُوفَ الْيَدَيْنِ ، أَمامَ حَماقَتِها وَعِنادِها ، وَلا يُبالِي أَنْ يَهْلِكَ فِي سَبِيلِ إِرْضاءِ فُضُولِها . وَلَوْ أَنَّنِي كُنْتُ مَكانَهُ ، لَعَرَفْتُ كَيْفَ أُقَوِّمُ اعْوِجاجَها ! »

فقالَ الْكَلْبُ : «وَماذا كُنْتَ تَصْنَعُ يا أَبا عُتْرُوفٍ؟» فَقالَ الدِّيكُ : « كُنْتُ أُلْقِى عَلَيْها دَرْساً قاسِيًا لا تَنْساهُ ، وَلا تُمْحَى مِنْ قَلْبِها ذِكْراهُ ! » فَقالَ الْكَلْبُ : « فَماذا كُنْتَ صانِعاً ؟ » فَقالَ الدِّيكُ : « كُنْتُ أَهْرِيها (أَضْرِبُها بِالْهِراوَةِ ، وَهِيَ الْعَصا الْغَليظَةُ) ، حَتَّى تَثُوبَ إِلَى رُشْدِها ، وَتَكُفَّ عَنْ عِنادِها ، وَلا تَعُودَ - بَعْدَ ذٰلِكَ - إِلَى مِثْلِها ! »

فَقالَ الْكَلْبُ : « بِئْسَ ما رَأَيْتَ يا أَبا عُتْرُوفٍ ، إِذْ تُداوِى الْخَطَأَ بِخَطَإٍ مِثْلِهِ ، وَتَمْحُو السَّيِّئَةَ بِسَيِّئَةٍ مِثْلِها ! إِنَّما يُداوَى الْخَطَأُ بِالصَّوابِ ، وَتُدْفَعُ الْإِساءَةُ بِالْإِحْسانِ . وَلَنْ يُعْوِزَ « عَمَّارًا » - وَهُوَ راجِحُ الْعَقْلِ ، بارِعُ الْحِيلَةِ - أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هٰذا الْمَأْزِقِ ، دُونَ أَنْ يُعَرِّضَ حَياتَهُ لِلتَّلَفِ ، أَوْ يُسِيءَ إِلَى زَوْجِهِ . »

١٧ – سِرُّ الْجِنِّيِّ

لَمْ يَكَدْ « عَمَّارٌ » يَسْتَمِعُ إِلَى هٰذا الْحِوارِ ، حَتَّى لاحَتْ لَهُ بارِقَةٌ فِى الْخَلاصِ مِنْ وَرْطَتِهِ . فَدَخَلَ الْحُجْرَةَ ، فَحَيَّا « نَوارَ » وَهُوَ مُطْرِقٌ عابِسٌ ، كَأَنَّما يُفَكِّرُ فِى خَطَرٍ داهِمٍ . ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى « نَوارَ » ، وَهُوَ يَقُولُ فِى لَهْجَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَالْأَسَفِ ، وَتَبْعَثُ الرُّعْبَ فِى الْقُلُوبِ : «هَلُمِّى يا «نَوارُ» لِأُطْلِعَكِ عَلَى السِّرِّ الْخَطِيرِ الَّذِى اسْتَوْدَعَنِيهِ الْجِنِّيُّ ، وَنَهانِى عَنْ إِذاعَتِهِ . هَلُمِّى وَلا تُبْطِئِى فِى إِعْدادِ الْكَفَنِ ، قَبْلَ بَدْءِ الْحَدِيثِ . فَلَنْ أَلْفِظَ آخِرَ حَرْفٍ مِنْهُ ، حَتَّى أَلْفِظَ آخِرَ نَفَسٍ مِنْ أَنْفاسِ الْحَياةِ مَعَهُ . »

فَلَمَّا رَأَتْهُ جادًّا فِى طَلَبِ الْكَفَنِ ، سَرَتِ الرِّعْدَةُ فِى جِسْمِها ، وَسَأَلَتْهُ مُضْطَرِبَةً : « وَمَنِ الَّذِى يَقْتُلُكَ ؟ » فَقالَ : «وَهَلْ يَقْتُلُنِى غَيْرُ الْجِنِّيِّ الَّذِى اسْتَوْدَعَنِى سِرَّهُ ؟ » فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ «نَوارُ» تُسائِلُهُ مُتَحَيِّرَةً : « كَيْفَ ؟ ... وَهَلْ يَحْضُرُ الْجِنِّيُّ إِلَيْنا ؟ وَلِماذا ؟ »

فَأَجابَها «عَمَّارٌ» وَقَدْ جازَتْ عَلَيْها حِيلَتُهُ : «إِنَّما يَقْتُلُنِى الْجِنِّيُّ جَزاءَ مُخالَفَتِى عَهْدَهُ! »

وَلا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوْلَى عَلَيْها مِنَ الْفَزَعِ حِينَ تَمَثَّلَتِ الْجِنِّيَّ قادِمًا عَلَيْها ، وَهُوَ يَهُمُّ بِقَتْلِ زَوْجِها أَمامَها ، ثُمَّ لا يَلْبَثُ أَنْ يَقْتُلَها هِيَ أَيْضاً .

فَأَقْبَلَتْ «نَوارُ» عَلَى زَوْجِها « عَمَّارٍ » نادِمَةً مُتَحَسِّرَةً ، تائِبَةً مِنْ ذَنْبِها مُسْتَغْفِرَةً ، مُتَوَسِّلَةً إِلَيْهِ أَنْ يَحْتَفِظَ بِسِرِّ الْجِنِّيِّ ، فَلا يَبُوحَ بِهِ لِأَحَدٍ . »

وَلَمْ يَكَدْ « آزادُ » يَنْتَهِى مِنْ قِصَّتِهِ ، حَتَّى الْتَفَتَ إِلَى « شَهْرَزادَ » قائِلًا : « لَقَدْ بَحَثْتُ عَنْ حِيلَةٍ أُخَوِّفُكِ بِها ، كَما احْتالَ « عَمَّارٌ » عَلَى زَوْجِهِ ، فَلَمْ أَهْتَدِ إِلَى شَىْءٍ . فَما أَنْتِ مِمَّنْ تَجُوزُ عَلَيْهِ الْأَوْهامُ ، كَما جازَتْ عَلَى تِلْكَ الْمَرْأَةِ الْغافِلَةِ : نَوارَ . »

١٨ — الْغَزالَةُ وَالْأَسَدُ

فَقالَتْ « شَهْرَزادُ » : « قَرَّ عَيْناً يا أَبَتاهُ ، فَلَنْ يُصِيبَنِى مَكْرُوهٌ إِنْ شاءَ اللهُ . وَلَنْ أَكُونَ كَ « أَبِى تَوْلَبٍ » ، الَّذِى أَشْقَى نَفْسَهُ ، وَعَجَزَ عَنْ إِنْقاذِ صاحِبِهِ ، وَلا مِثْلَ « نَوارَ » الَّتِى أَقْحَمَتْ نَفْسَها فِيما لا يَعْنِيها . بَلْ أَكُونُ كَالْغَزالَةِ الَّتِى خَلَّصَتْ — بِحِيلَتِها — بَناتِ جِنْسِها ، مِنَ الْأَسَدِ ، وَأَنْقَذَتْهُنَّ مِنَ الْهَلاكِ . » فَسَأَلَها « آزادُ » : « وَكَيْفَ كانَ ذٰلِكَ ؟ » فَقالَتْ « شَهْرَزادُ » : « عاشَ فِى قَدِيمِ الزَّمانِ ، جَماعَةٌ مِنَ الْغِزْلانِ ، فِى راحَةٍ وَأَمْنٍ وَاطْمِئْنانٍ . ثُمَّ وَفَدَ عَلَيْهِنَّ أَسَدٌ ، فَأَشْقاهُنَّ ، وَنَغَّصَ عَيْشَهُنَّ . فَاجْتَمَعَ رَأْيُهُنَّ عَلَى أَنْ يَتَوَجَّهْنَ إِلَيْهِ بِاقْتِراحٍ ، إِذا رَضِىَ بِهِ أَمَّنَهُنَّ . وَكُنَّ قَدْ أَجْمَعْنَ عَلَى أَنْ يَقْتَرِعْنَ — كُلَّ يَوْمٍ — فِيما بَيْنَهُنَّ ، ثُمَّ يَبْعَثْنَ بِمَنْ تَقَعُ عَلَيْها الْقُرْعَةُ — فِى صُحْبَةِ رَسُولٍ مِنْهُنَّ — لِتَكُونَ غِذاءَ الْأَسَدِ ، طُولَ يَوْمِهِ . فَابْتَهَجَ الْأَسَدُ لِاقْتِراحِهِنَّ ، وَداوَمْنَ عَلَى ذٰلِكَ أَيَّامًا . ثُمَّ وَفَدَتْ عَلَيْهِنَّ — مِنْ بَعْضِ الْوِدْيانِ الْقَرِيبَةِ — غَزالَةٌ ذَكِيَّةٌ . وَلَمَّا عَلِمَتْ قِصَّتَهُنَّ مَعَ الْأَسَدِ ، سَخِرَتْ مِنْهُنَّ ، مُتَعَجِّبَةً مِنْ عَجْزِهِنَّ ، وَسُوءِ رَأْيِهِنَّ . وَقالَتْ لَهُنَّ فِيما قالَتْ : « لَقَدِ اسْتَوْلَى الْخَوْفُ عَلَى قُلُوبِكُنَّ ، فَهَرَبْتُنَّ إِلَى الْمَوْتِ خَوْفاً مِنَ الْمَوْتِ ! » فَقُلْنَ لَها : « فَكَيْفَ نَتَّقِى بَطْشَ الْأَسَدِ ؟ وَأَىَّ حِيلَةٍ تُشِيرِينَ بِها عَلَيْنا يا « أُمَّ خِشْفٍ » ، لِنَسْتَجْلِبَ رِضاهُ ، أَوْ يَكُفَّ عَنَّا أَذاهُ ؟ » فَقالَتْ لَهُنَّ : « لا تَبْعَثْنَ إِلَيْهِ غَدًا بِأَحَدٍ غَيْرِى ، لَعَلِّى أَبْلُغُ بِحِيلَتِى ؛ ما لا يَبْلُغُهُ الْأَسَدُ بِقُوَّتِهِ . »

١٩ — حِيلَةُ الْغَزالَةِ

فَلَمَّا جاءَ الْغَدُ ، ذَهَبَتْ إِلَيْهِ « أُمُّ خِشْفٍ » وَحْدَها مُتَباطِئَةً ، فَلَمْ تَصِلْ إِلَى عَرِينِهِ (بَيْتِهِ) إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَهُ الْغَضَبُ ، وَلَوَّعَهُ الْجُوعُ . وَلَمْ يَكَدِ الْأَسَدُ يَراها ، حَتَّى

سَأَلَها : « لِماذا تَأَخَّرْتِ عَنْ مَوْعِدِ الْغَداءِ ؟ » فَقالَتْ لَهُ : « لَقَدْ حَدَثَ الْيَوْمَ يا مَوْلاىَ ما لَمْ يَكُنْ فِي الْحِسْبانِ . فَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ صَواحِبِي بِغَزالَةٍ مَعِي لِتَأْكُلَها ، وَلَمْ أَكَدْ أَبْلُغُ مُنْتَصَفَ الطَّرِيقِ ، حَتَّى لَقِيَنِي أَسَدٌ فِي مِثْلِ سَطْوَتِكَ وَقُوَّتِكَ ، وَحاوَلَ أَنْ يَغْتَصِبَ الْغَزالَةَ مِنِّي ، فَحَذَّرْتُهُ بَطْشَكَ وَانْتِقامَكَ ، فَشَتَمَنِي وَشَتَمَكَ ، وَكادَ يَفْتِكُ بِي . فَهَرَبْتُ إِلَيْكَ ، مُسْتَنْجِدَةً بِكَ . » فَانْخَدَعَ الْأَسَدُ بِحِيلَتِها ، وَسَأَلَها : « أَيْنَ مَكانُ هٰذا الْغاصِبِ السَّفِيهِ ؟ » فَمَشَتِ الْغَزالَةُ ، وَالْأَسَدُ يَتْبَعُها ، حَتَّى بَلَغا بِئْرَ ماءٍ ، عَمِيقَةً صافِيَةً . وَنَظَرَ الْأَسَدُ ، فَرَأَى خَيالَهُ وَخَيالَها فِي الْماءِ ، فَأَيْقَنَ صِدْقَ ما حَدَّثَتْهُ بِهِ ، وَقَفَزَ عَلَى ظِلِّهِ غاضِباً لِيَفْتِكَ بِصاحِبِهِ . فَغَرِقَ فِي الْحالِ .

وَنَجَتِ الْغَزالَةُ وَصَواحِبُها ؛ بِفَضْلِ رَجاحَةِ عَقْلِها ، وَبَراعَةِ حِيلَتِها .

وَلَنْ يَكُونَ « شَهْرِيارُ » أَقْوَى صَوْلَةً مِنَ الْأَسَدِ ، وَلا « شَهْرَ زادُ » أَقَلَّ شَجاعَةً مِنَ الْغَزالَةِ .

٢٠ — حُجَّةٌ مُقْنِعَةٌ

وَإِذا كانَتِ الْغَزالَةُ قَدِ اسْتَطاعَتْ أَنْ تُغْرِقَ — بِحِيلَتِها — غُولَ الْوُحُوشِ فِي الْماءِ ، فَإِنِّي قادِرَةٌ — إِنْ شاءَ اللهُ — عَلَى إِغْراقِ غُولِ النِّساءِ فِي عُبابٍ مِنَ السِّحْرِ ، يَمْلَأُ قَلْبَهُ رَحْمَةً وَحَنانًا ، وَيُبَدِّلُهُ بِقَسْوَتِهِ وَبَطْشِهِ أَمْنًا لِصَواحِبِي وَاطْمِئْنانًا . وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى فِطْنَتِكَ — يا أَبَتِ — أَنَّ ما يُبْدِيهِ « شَهْرِيارُ » مِنْ قَسْوَةٍ وَعُنْفٍ ، لَيْسَ مَرْجِعُهُ إِلَى طَبْعٍ لَئِيمٍ ، بَلْ هِيَ لُوثَةٌ مِنَ الْخَبالِ الْعارِضِ فاجَأَتْهُ ، حِينَ غَدَرَتْ بِهِ زَوْجُهُ وَخانَتْهُ . وَلَوْ أَنَّهُ لَقِيَ ناصِحًا أَمِينًا ، شُجاعًا حَكِيمًا ، يَضْرِبُ لَهُ بارِعَ الْأَمْثالِ ، لَنَفَعَهُ بِنُصْحِهِ وَهِدايَتِهِ . وَلَعَلَّهُ لَوْ عَثَرَ عَلَى الْمَرْأَةِ الْوَفِيَّةِ الرّاشِدَةِ ، لَسَكَنَ إِلَيْها ، وَأَنِسَ بِها ، وَعادَ سِيرَتَهُ الْأُولَى مِنْ إِحْسانٍ ، وَرَحْمَةٍ وَعَدْلٍ وَحَنانٍ . وَلَنْ تَعْجِزَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ ، وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ ، عَنْ شِفاءِ مَرِيضِ النَّفْسِ مِنْ دائِهِ ، إِذا وَفَّقَنِي اللهُ إِلَى تَصْوِيرِها لَهُ : فِي أُسْلُوبٍ قَصَصِيٍّ مُمْتِعٍ جَذّابٍ ، وَعَرْضِها عَلَيْهِ فِي مَعْرِضٍ بارِعٍ أَخّاذٍ . »

وَما زالَتْ « شَهْرَ زادُ » تُحاوِرُ أَباها ، حَتَّى أَقْنَعَتْهُ بِسَدادِ حُجَّتِها ، وَصِحَّةِ رَأْيِها .

٢١ — زَواجُ «شَهْرَزادَ»

فَذَهَبَ «آزادُ» إلى مَليكِهِ، وَرَفَعَ إِلَيْهِ رَغْبَةَ بِنْتِهِ: «شَهْرَزادَ» في تَزَوُّجِهِ.
وَلا تَسَلْ عَنْ دَهْشَةِ الْمَلِكِ مِمَّا سَمِعَ! فَقَدِ الْتَفَتَ إلى وَزيرِهِ مُتَحَيِّرًا، وَقالَ:



«أَلَسْتَ عارِفًا بِمَصيرِ ابْنَتِكَ بَعْدَ الزَّواجِ؟ أَلا تَعْلَمُ أَنَّني آمِرُكَ بِقَتْلِها غَدًا، كَما أَمَرْتُكَ بِقَتْلِ غَيْرِها مِنْ قَبْلُ؟»

وَدارَ بَيْنَهُما حِوارٌ طَويلٌ، انْتَهى بِقَبُولِ الْمَلِكِ زَواجَها، بَعْدَ أَنْ أَنْذَرَ أَباها بِإِهْلاكِها، كَما أَهْلَكَ مَنْ سَبَقَنَها. أَمَّا «شَهْرَزادُ» فَقَدْ فَرِحَتْ بِتَحْقيقِ أُمْنِيَّتِها، وَلَمْ تُضِعْ وَقْتَها، فَنادَتْ «دُنْيا زادَ» أُخْتَها، وَقالَتْ لَها:

«إِنِّي مُقْدِمَةٌ — يا أُخْتاهُ — عَلَى أَمْرٍ جَسيمٍ، لِتَحْقيقِ غايَةٍ نَبيلَةٍ. وَسَيَكُونُ لي — في بَراعَتِكِ — مَخْلَصٌ مِنْ هٰذا الْمَأْزِقِ وَنَجاةٌ.»

ثُمَّ أَفْضَتْ إِلَيْها بِدِخْلَتِها، وَأَطْلَعَتْها عَلَى تَفْصيلِ خُطَّتِها.

٢٢ — حيلَةٌ بارِعَةٌ

وَلَمْ يَكَدْ «شَهْرِيارُ» يَراها حَتَّى بَهَرَهُ جَمالُها وَثَباتُها. وَلَمْ يَكَدْ يَتَحَدَّثُ إِلَيْها حَتَّى تَبَيَّنَ لَهُ رَجاحَةُ عَقْلِها، وَأَصالَةُ رَأْيِها، فَهَشَّ لَها وَبَشَّ. فَانْتَهَزَتِ الْفُرْصَةَ، وَقالَتْ لَهُ:

«ما أَسْعَدَني بِما ظَفِرْتُ بِهِ مِنْ شَرَفٍ لا يُدانيهِ شَرَفٌ، إِذْ أَتاحَ لِيَ الْحَظُّ السَّعيدُ أَنْ أَمْثُلَ في حَضْرَةِ مَلِكِ الْمُلوكِ! وَلَيْسَ لي — بَعْدَ أَنْ ظَفِرْتُ بِهٰذا الشَّرَفِ — إِلَّا أُمْنِيَّةٌ، ما أَظُنُّ مَوْلايَ الْعَظيمَ يَضَنُّ عَلَيَّ بِتَحْقيقِها.» فَسَأَلَها عَمَّا تُريدُ. فَقالَتْ لَهُ مُتَوَدِّدَةً:

«إِنَّ لي أُخْتًا لا أُطيقُ فِراقَها، فَهَلْ يَأْذَنُ مَوْلايَ في إِحْضارِها إِلى قَصْرِهِ لِأَنْعَمَ بِرُؤْيَتِها،

وَالْحديثِ إِلَيْها فِى آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ عمرِى ؟ »

فلمْ يَتَرَدَّدِ المَلِكُ فِى إِجابَةِ مُلتمَسِها الْهَيِّنِ الْيَسِيرِ .

وكانَتْ «شَهْرَ زادُ» - كَما قُلْتُ لَكَ - قَدْ رَسَمَتْ لِأُخْتِها : «دُنْيا زادَ» طَرِيقَ النَّجاةِ مِنْ بَطْشِ صاحِبِها ، فَأَوْصَتْها - فِيما أَوْصَتْها بِهِ - أَنْ تُوقِظَها مِنَ النَّوْمِ قُبَيْلَ الْفَجْرِ ، تَسْأَلُها أَنْ تَقُصَّ عَلَيْها بَعْضَ قِصَصِها الْمُمْتِعَةِ ، لِتَنْعَمَ بِحَدِيثِها فِى آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ حَياتِها .



وَلَمَّا أَشْرَفَ اللَّيْلُ عَلَى نِهايَتِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَّا ساعَةٌ واحِدَةٌ ، أَيْقَظَتْ « دُنْيا زادُ » أُخْتَها « شَهْرَ زادَ » وَهِىَ تَقُولُ : « إِذا لَمْ تَكُنْ أُخْتِىَ الْعَزِيزَةُ نائِمَةً ، رَجَوْتُها أَنْ تَقُصَّ عَلَىَّ رائِعَةً مِنْ قَصَصِها الشَّائِقِ الْمُبْدِعِ ، الْحَبِيبِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ ؛ قَبْلَ أَنْ تُفارِقَنِى إِلَى غَيْرِ عَوْدَةٍ ، وَأُحْرَمَ - إِلَى الْأَبَدِ - سَماعَ صَوْتِها الْحَنُونِ . »

فَأَجابَتْها « شَهْرَ زادُ » : « ما أَسْعَدَنِى بِتَلْبِيَةِ رَجائِكِ - يا أُخْتاهُ - إِذا أَذِنَ لَنا فِى ذٰلِكَ مَوْلانا الْعَظِيمُ . » فَلَمْ يَتَرَدَّدْ فِى إِجابَةِ مُلْتَمَسِها . فَانْتَهَزَتْ هٰذِهِ الْفُرْصَةَ الْمُواتِيَةَ ، فَراحَتْ تَقُصُّ عَلَيْهِ أَمْتَعَ قَصَصِ الْحَياةِ . وَأَدْرَكَ « شَهْرَ زادَ » الصَّباحُ ، وَلَمْ تَكُنْ قَدْ أَتَمَّتْ قِصَّتَها الْجَذَّابَةَ ، فاضْطُرَّ الْمَلِكُ أَنْ يُؤَجِّلَ قَتْلَها إِلَى اللَّيْلَةِ الْقادِمَةِ ، حَتَّى يَسْتَمِعَ إِلَى خِتامِ الْقِصَّةِ ، وَيَتَعَرَّفَ نِهايَتَها .

وَفِى اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ صَنَعَتْ « شَهْرَ زادُ » ما صَنَعَتْهُ فِى لَيْلَتِها الْماضِيَةِ . وَهٰكَذا كانَتْ « شَهْرَ زادُ » تَعْمِدُ - كُلَّ لَيْلَةٍ - إِلَى قَطْعِ حَدِيثِها فِى مَواقِفَ جَذَّابَةٍ مِنْ قَصَصِها ، لِتُرْغِمَهُ عَلَى الْإِبْقاءِ عَلَى حَياتِها إِلَى لَيْلَةٍ قادِمَةٍ ، رَيْثَما تَتِمُّ الْقِصَّةُ . وَما زالَتْ تَنْقُلُ الْمَلِكَ مِنْ فِتْنَةٍ إِلَى فِتْنَةٍ ، وَمِنْ إِبْداعٍ إِلَى إِبْداعٍ ؛ فِى أُسْلُوبٍ قَصَصِىٍّ رائِعٍ جَذَّابٍ ، حَتَّى انْقَضَى عَلَى زَواجِهِما أَلْفُ لَيْلَةٍ وَلَيْلَةٌ . وَكانَتْ قَدْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ فِى أَثْنائِها

وَلَدَيْنِ ، وَاسْتَوْلَتْ عَلى إِعْجابِهِ وَثِقَتِهِ ؛ بِما آتاها اللهُ مِنْ أَصالَةِ حِكْمَةٍ ، وَرَجاحَةِ عَقْلٍ ، وَصِدْقٍ وَفاءٍ . فَلَمْ يُطِقْ فِراقَها ، وَعاشَ مَعَها أَسْعَدَ عِيشَةٍ .

٢٣ ــ خاتِمَةُ الْقِصَّةِ



وَكانَتْ هٰذِهِ الْحِيلَةُ الْبارِعَةُ سَبَباً فى خَلاصِها ، وَخَلاصِ بَناتِ جِنْسِها مِنَ الْهَلاكِ . وَهٰكَذا تَمَّ لَها التَّوْفِيقُ ، فَحَسَّنَتْ رَأْيَهُ فى النِّساءِ ؛ بِمِقْدارِ ماقَبَّحَتْ « بَهْرَمَةُ » رَأْيَهُ فِيهِنَّ . وَعادَ إِلَى عَدْلِهِ ، وَإِحْسانِهِ ، وَرِفْقِهِ وَحَنانِهِ فَأَحَبَّتْهُ رَعِيَّتُهُ ، وافْتَتَنَ بِهِ شَعْبُهُ وَلَهِجَ بِشُكْرِهِ .

وَقَدِ اشْتَدَّ إِعْجابُهُ بِزَوْجِهِ ، وَإِكْبارُهُ لَها ، فَكافَأَها بِتَزْوِيجِ أُخْتِها « دُنْيا زاد » بِأَخِيهِ « شاه زَمانَ » : مَلِكِ « سَمَرْقَنْدَ » .

* * *

وَهٰكَذا عَرَفَتْ بِنْتُ الْوَزِيرِ كَيْفَ تَجْلُبُ السَّعادَةَ لَها وَلِأُخْتِها وَأَبِيها ، وَبَناتِ جِنْسِها وَذَوِيها . بَعْدَ أَنْ فَتَنَتْ زَوْجَها بِما أَبْدَعَتْهُ مِنْ قَصَصٍ ساحِرٍ ، وَحَدِيثٍ باهِرٍ ، أَسْلَمَهُ إِلَى عالَمِ السَّعادَةِ وَالْهَناءِ ، وَالْبَهْجَةِ وَالْبَهاءِ ، لا كَما أَسْلَمَتِ الْغَزالَةُ صاحِبَها الْأَسَدَ إِلَى عالَمِ الْمَوْتِ وَالْفَناءِ ، بَعْدَ أَنْ قَذَفَتْ بِهِ إِلَى قَرارِ الْماءِ .

القِصَّة الثانية

الأُكْذُوبَة

مكتبة الكيلانى للأطفال

مجموعات كاملة تتدرج بقارئها من السنة الأولى الابتدائية إلى الرابعة الثانوية

حكايات للأطفال

	م
الأرنب والصياد	١
الدجاجة الصغيرة الحمراء	١٠
أم الشعر الذهبي	١٠
بدر البدور	١٠
العلبة المسحورة	١٠

قالت شهر زاد

	م
بنت الوزير	٢
الأكذوبة	١
قاهر الجبابرة	٢
حصان الجو	٢
الأمير الحادى والخمسون	٢
أمير العفاريت	٢
أرنب فى القمر	٣
السعيد حسن	٣
كنز الشمردل	٣
شجرة الحياة	٨
صانع الأعاجيب	٨
الأمير المسحور	١٠
غزلان الغابة	١٠
السنجاب الصغير	١٠
الأميرة وردة	١٠

قصص من ألف ليلة

	م
بابا عبد الله والدرويش	٥
عبدالله البرى وعبدالله البحرى	٥
الملك عجيب	٥
على بابا	٨
أبو صير وأبو قير	٨
خسرو شاه	٨
تاجر بغداد	١٢
السندباد البحرى	١٥
علاء الدين	١٥

قصص جحا

	م
الحمار القارىء	١
وزة السلطان	٣
سوق الشطار	٥
جحا فى بلاد الجن	٥
سارق الحمار	١٠
برميل العسل	١٢

قصص فكاهية

	م
عمارة ـ الأرنب الذكى	
عفاريت اللصوص ـ نعمان	
العرندس ـ أبو الحسن	
(ثمن القصة)	٥
حذاء الطنبورى	٨
بنت الصباغ	١٠

قصص شكسبير

	م
العاصفة	٧
تاجر البندقية	٧
يوليوس قيصر	٧
الملك لير	٧

قصص هندية

	م
الشيخ الهندى	٤
الوزير السجين	٤
الأميرة القاسية	٤
خاتم الذكرى	٤
شبكة الموت	٤
فى غابة الشياطين	٧

أساطير العالم

	م
فى بلاد العجائب	٥
الملك ميداس	٥
القصر الهندى	٥
قصاص الأثر	٥
بطل أثينا	٥
الفيل الأبيض	٥

قصص تمثيلية

	م
الملك النجار	٤

قصص الجيب

	م
اللحية الزرقاء	١
الساحر الأحمر	٢
الجواد الطيار	٥
بساط الريح	٥

قصص علمية

	م
أصدقاء الربيع	٥
جبارة الغابة	٥
الصديقتان	٥
النحلة العاملة	٥
العنكب الحزين	٥
زهرة البرسم	٧
أسرة السناجيب	٧
أم سند وأم هند	٧
أم مازن	٧
فى الإصطبل	١٥

قصص جغرافية

	م
لفنجستون	١٠
لفنجستون وستانلى	١٠

قصص مختارة

	م
وادى الذهب	٨
صارع الأسد	٨

قصص عربية

	م
حى بن يقظان	١٥
ابن جبير فى مصر والحجاز	٢٠

أشهر القصص

	م
روبنسن كروزو	١٥
رحلات جلفر	٣٠

يظهر قريباً

مدينة الزجاج

مكتبة الكيلانى للشباب

	ص
ملوك الطوائف ونظرات فى تاريخ الإسلام للعلامة دوزى	٢٠
روائع من قصص الغرب : صياد الخيال وقصص أخرى	٢٠
صور جديدة من الأدب العربى	٢٠
ديوان ابن زيدون (شرح الكيلانى وعبد الرحمن خليفة)	٥٠
عشر أغان مختارة مع تدوينها الموسيقى (نظم الكيلانى ومشرفة باشا)	٥٠
مصارع الخلفاء	١٠
مختار القصص	١٠
فن الكتابة : كيف ندرس فن الإنشاء	٥
أساطير ألف يوم	٢٥
ديوان ابن الرومى	٦٠
نظرات فى تاريخ الأدب الأندلسى مجموعة محاضرات ألقاها الكيلانى فى الجامعة المصرية	٦٠
مصارع الأعيان (نفد)	٢٠
ذكريات الأقطار الشقيقة (نفد)	١٠
مختارات كامل كيلانى (نفد)	٢٠
موازين النقد الأدبى (نفد)	٥

	ص
حديقة أبى العلاء الجزء الأول : مصرع الفنان	١٥
على هامش الغفران : ١ ــ دواعى الرسالة ٢ ــ قصة الحماطة	٢٠

	ص
رسالة الهناء الجزء الأول : نصوص ودراسات الجزء الثانى : النص الكامل	٣٥

المكتبة العلائية

رسالة الغفران : الطبعة الثالثة (نفدت)	١٥٠
الطبعة الرابعة (النص الكامل) تظهر قريباً	
رسالة الغفران : (ترجمة انجليزية أخرجها الكيلانى وبرا كنبرى	٣٠

مكتبة الكيلانى للأطفال

مَجْمُوعاتها : تُسايِرُ التِّلْمِيذَ فِى نَحْوِ مِائَةٍ وَخَمسِينَ قِصَّةً ، رائِعَةَ الصُّوَرِ ، بَدِيعَةَ الْإِخْراجِ . مُتَدَرِّجَةً بِهِ مِنْ أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الابْتِدائِىِّ إِلَى خِتامِ تَعْلِيمِهِ الثَّانَوِىِّ . ثُمَّ تُسْلِمُهُ إِلَى مَكْتَبَةِ الْكِيلانِىِّ لِلشَّبابِ .

مادَّتُها : تُقَوِّمُ الْخُلُقَ ، وَتُرَبِّى الذِّهْنَ ، وَتُعَلِّمُ الْأَدَبَ .

فَنُّها : يُشَوِّقُ الْقارِئَ وَيُمْتِعُهُ ، وَيُحَبِّبُ الْكِتابَ إِلَيْهِ .

لُغَتُها : تُنَمِّى مَلَكَةَ التَّعْبِيرِ ، وَتَطْبَعُ اللِّسانَ عَلَى فَصِيحِ الْبَيانِ :

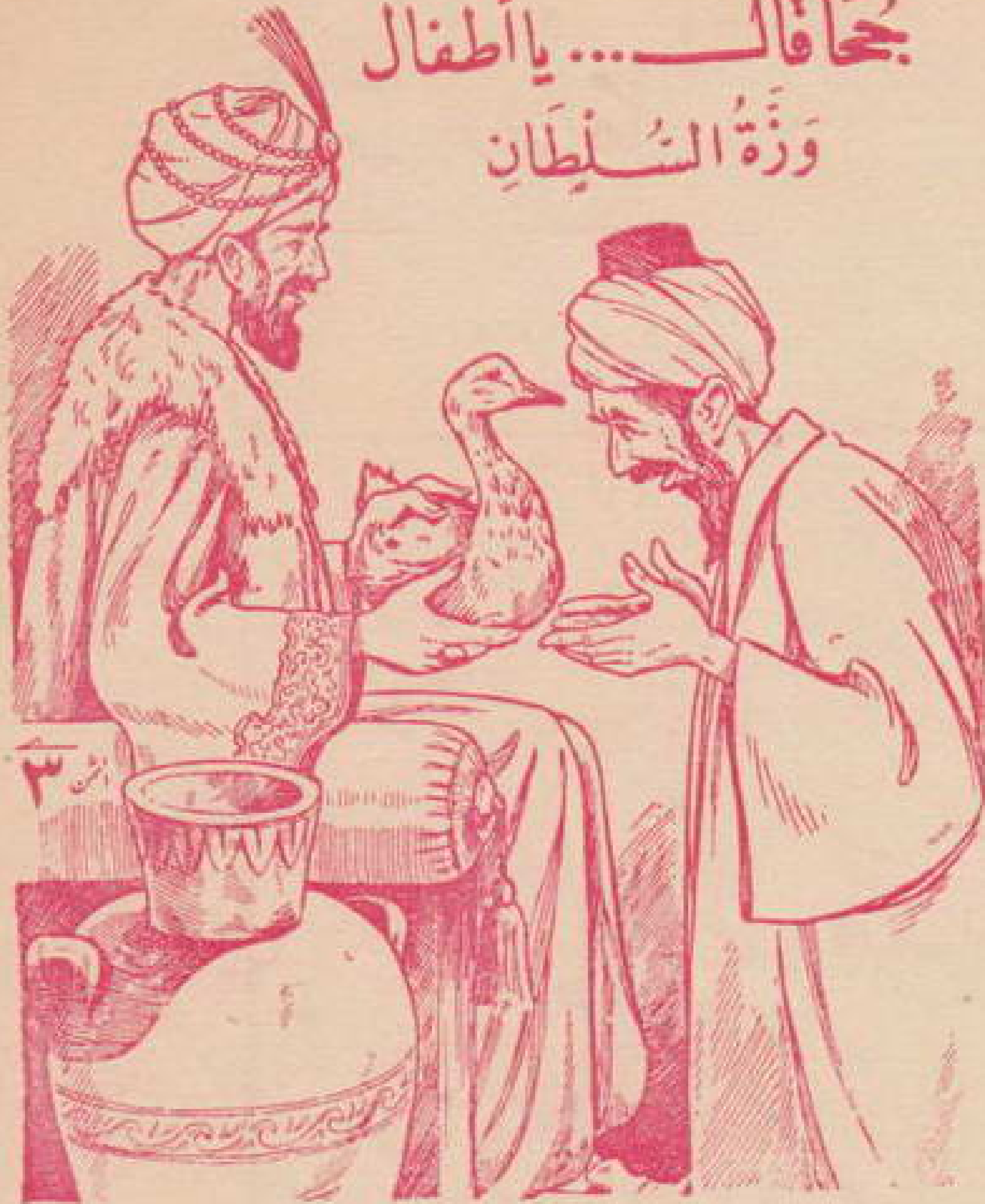
ثَوْرَةٌ رَشِيدَةٌ ، أَجْمَعَ عَلَى تَأْيِيدِها وُزَراءُ الْمَعارِفِ وَزُعَماءُ التَّعْلِيمِ وَقادَةُ الرَّأْىِ فِى الشَّرْقِ ، وَكِبارُ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَعْلامُ التَّرْبِيَةِ فِى الْغَرْبِ . أَوَّلُ مَكْتَبَةٍ عَرَبِيَّةٍ عُنِيَتْ بِتَنْشِئَةِ الطِّفْلِ عَلَى أَحْدَثِ أُسُسِ التَّرْبِيَةِ الصَّحِيحَةِ .

تَوالَتْ طَبَعاتُها الْعَرَبِيَّةُ ، فَتَثَقَّفَ بِها الْجِيلُ الْجَدِيدُ فِى بِلادِ الْعُرُوبَةِ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْها بَيْتٌ عَرَبِىٌّ .

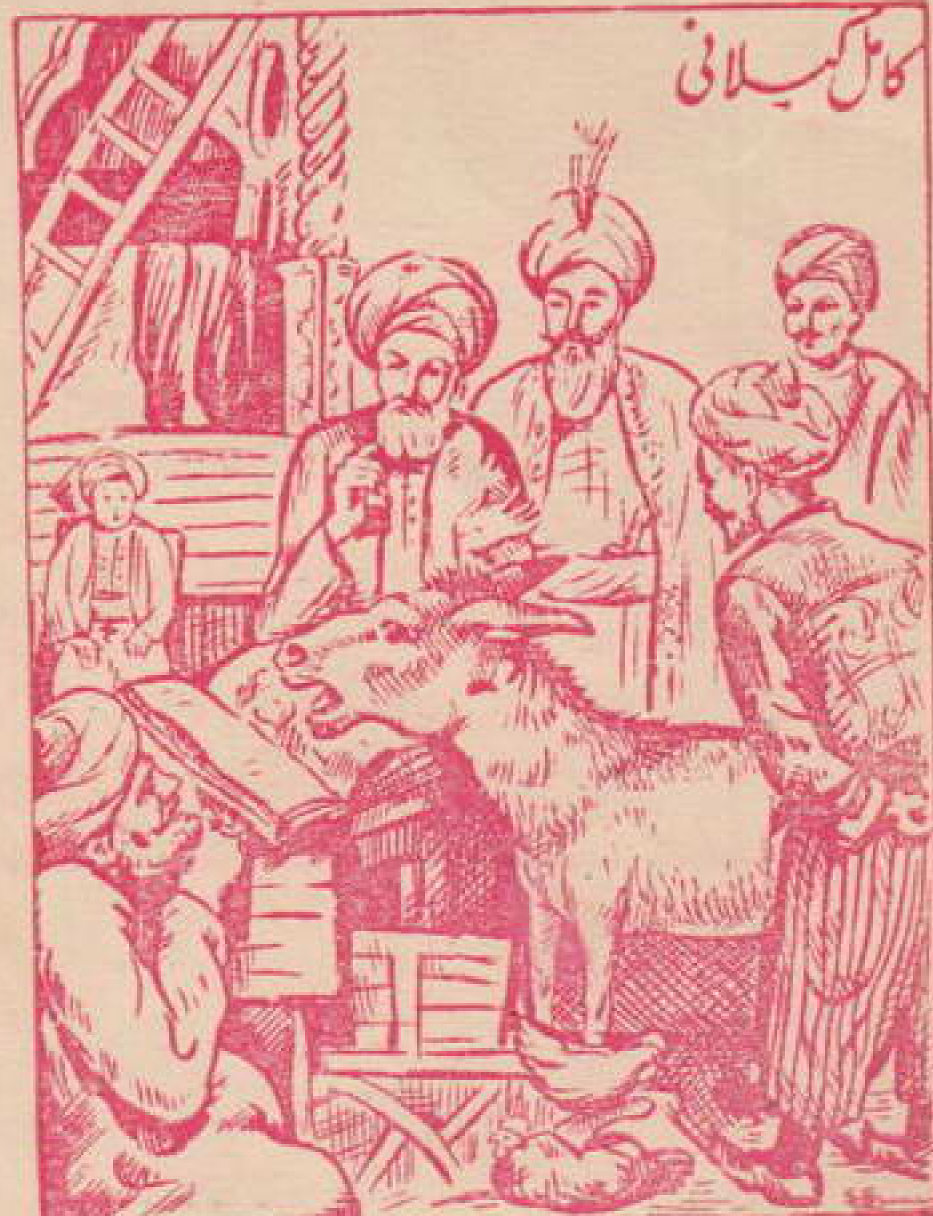
تُرْجِمَتْ إِلَى أَكْثَرِ اللُّغاتِ الشَّرْقِيَّةِ وَبَعْضِ اللُّغاتِ الْغَرْبِيَّةِ .

مدرسة حرة ، إذا عرفها التلميذ سعى إليها بلا ترغيب ولا ترهيب .
كانت أكبر أمنية للآباء ، وهى اليوم أشهى غذاء ثقافى للأبناء .
تصدرها أكبر دور النشر فى الشرق .

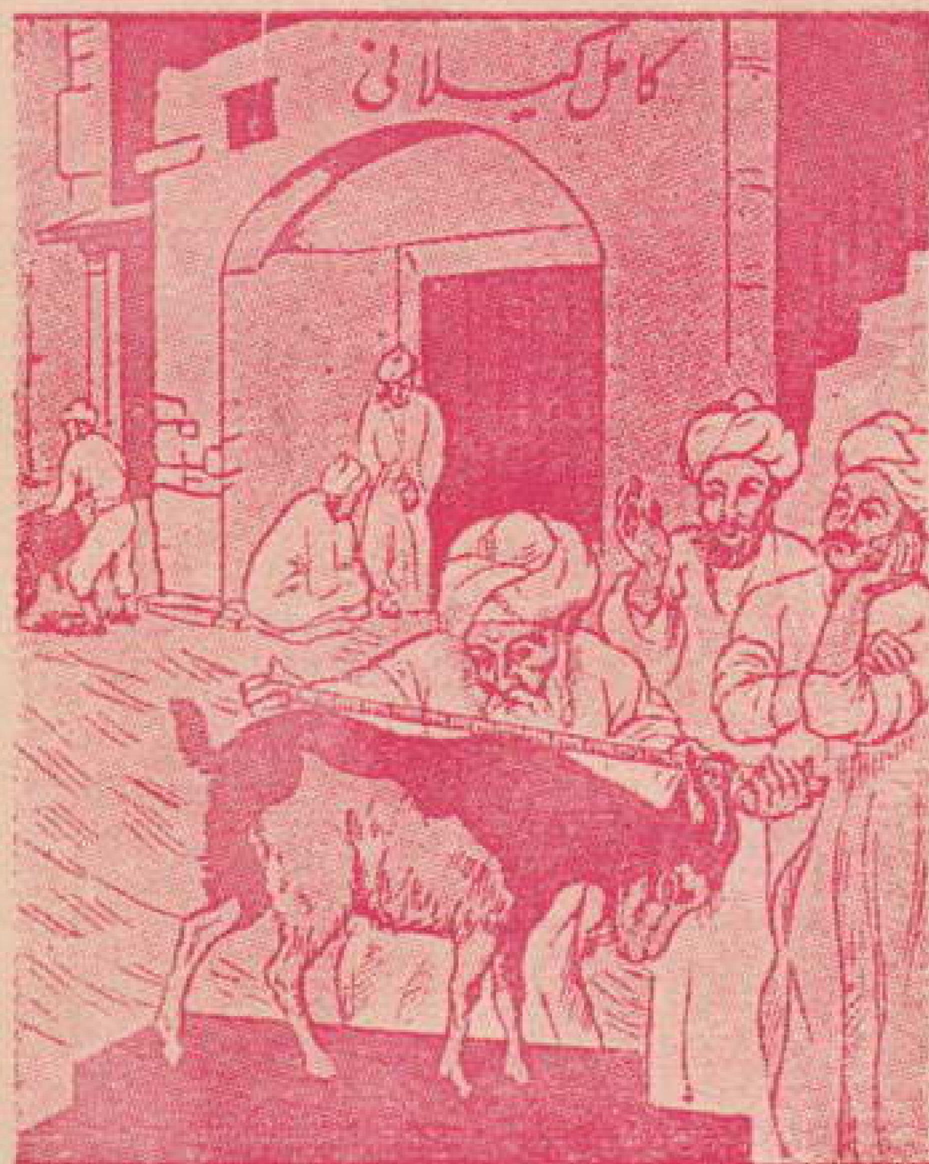




مكتبة الكيلانى للأطفال القاهرة { مركز الدار ٣٢ شارع حسن الأكبر / فرع الدار ٢٨ شارع البستان } تليفون ٥٠٨١٨



جحا قال ... يا أطفال الحمار القارئ



جحا قال يا أطفال سوق الشطار

عن دار مكتبة الأطفال

طبع الغلاف بدار النيل للطباعة

كامل كيلاني

قالت شهرزاد

بِنْتُ الوَزِيرِ



دار مكتبة الأطفال

القاهرة | مركز الإدارة ٣٢ شارع حسن الأكبر
فرع الإدارة ٢٨ شارع البستان | ت ٥٠٨١٨

الثمن قرشان

١٧

كامل كيلانى

قالت شهرزاد

بنتُ الوَزيرِ

القصة الأُولى

الطبعة الثانية

١٣٦٨ هـ – ١٩٤٩ م

دار مكتبة الأطفال

القاهرة { مركز الدار ٣٢ شارع حسن الأكبر / فرع الدار ٢٨ شارع البستان } ت ٥٠٨١٨

مطبعة حجازى

١ — عَدْلُ « شَهْرِيَارَ »

كانَ الْمَلِكُ « شَهْرِيارُ » أَعْظَمَ مُلوكِ عَصْرِهِ شأْناً ، وَأَعَزَّهُمْ سُلْطاناً . وَقَدْ حَكَمَ رَعِيَّتَهُ — فِي أَوَّلِ عَهْدِهِ — حُكْماً ، أَساسُهُ الْعَدْلُ ، فَأَمَّنَ الْخائِفَ ، وَانْتَصَفَ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ ، وَسَهِرَ عَلَى راحَةِ الشَّعْبِ ، وَشَجَّعَ الْعِلْمَ وَالْعُلَماءَ ، وَلَمْ يَأْلُ جُهْداً فِي إِسْعادِ رَعِيَّتِهِ ، حَتَّى أَطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ : « حارِسِ الْعَدالَةِ » .

٢ — غَدْرُ « بَهْرَمَةَ »

أَمَّا زَوْجُهُ « بَهْرَمَةُ » فَكانَتْ — عَلَى الْعَكْسِ مِنْهُ — تَجْمَعُ بَيْنَ الْغَدْرِ وَالْخِداعِ ، وَلُؤْمِ الطِّباعِ . وَلَمْ يَكُنْ يَعْدِلُ جَمالَ هَيْئَتِها ، وَحُسْنَ صُورَتِها إِلَّا قُبْحُ سَرِيرَتِها (خُبْثُ نِيَّتِها) ، وَسُوءُ سِيرَتِها . وَقَدْ سُمِّيَتْ « بَهْرَمَةَ » ، وَمَعْناها : « زَهْرَةُ الْوَرْدِ » ، أَوْ « جَمالُ الزَّهْرِ » . وَلَوْ أَنْصَفُوا لَسَمَّوْها : « شَوْكَ الْوَرْدِ » ، أَوْ « زَهْرَةَ الشَّرِّ » . فَقَدْ أَبَى عَلَيْها لُؤْمُ طَبْعِها ، إِلَّا أَنْ تَغْدِرَ بِزَوْجِها .

٣ — ظُنُونٌ وَأَوْهامٌ

وَلَمْ يَكَدْ « شَهْرِيارُ » يَتَعَرَّفُ حَقِيقَتَها ، وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّها ، حَتَّى أَذْهَلَتْهُ الْمُفاجَأَةُ ، فَتَمَلَّكَهُ الْغَيْظُ ، وَاشْتَدَّ بِهِ الْحُزْنُ ، حَتَّى كادا يُسْلِمانِهِ إِلَى الْجُنُونِ . فَانْقَلَبَ شَخْصاً آخَرَ ، عَلَى الضِّدِّ مِمَّا كانَ ، وَتَحَوَّلَتْ وَداعَتُهُ شَراسَةً ، وَحِكْمَتُهُ جَهْلاً ، وَحِلْمُهُ طَيْشاً ، وَعَدْلُهُ ظُلْماً ، وَرَحْمَتُهُ قَسَاوَةً ، وَذَكاؤُهُ غَباوَةً . وَاسْتَوْلَى عَلَيْهِ الْوَهْمُ ، فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّ النِّساءَ كُلَّهُنَّ ، مِثْلُ « بَهْرَمَةَ » ، غادِراتٌ ، لا عَهْدَ لَهُنَّ ، وَلا وَفاءَ . وَنَسِيَ أَنَّ طَبائِعَ النَّاسِ — رِجالاً وَنِساءً — تَخْتَلِفُ . فَمِنْهُمُ الطَّيِّبُ وَالْخَبِيثُ ، وَالْوَفِيُّ وَالْغادِرُ ، وَالْأَمِينُ وَالْخائِنُ ، وَالْخَيِّرُ وَالشِّرِّيرُ ، وَالرَّحِيمُ وَالْقاسِي .

٤ — غُولُ النِّساءِ

فَلَمْ يَكْتَفِ « شَهْرِيارُ » بِقَتْلِ « بَهْرَمَةَ » ، بَلْ عَزَمَ عَلَى الِانْتِقامِ مِنْ بَناتِ جِنْسِها ،

وَمُؤاخذَتِهِنَّ بِذَنْبِها . فَأمَرَ وَزيرَهُ « آزادَ » أنْ يَختارَ لهُ — كُلَّ يَوْمٍ — فَتاةً مِنْ حِسانِ الْمَدينَةِ ، يَتزَوَّجُها لَيْلَةً : لَيْلَةً واحِدَةً لاتُثَنَّى . فَإذا طَلَعَ الصُّبْحُ ؛ أَمَرَ « آزادَ » بِقَتْلِها ، لِيَنْجُوَ مِنْ غَدْرِها ، وَيأْمَنَ مِنْ مَكْرِها . وَقَدْ أَصْبَحَ لَهُ ذٰلِكَ الْقانُونُ الْجائِرُ شَريعَةً لايَحيدُ عَنْها ، وَلا يَتَسَمَّحُ فِي مُخالَفَتِها . فَلا غَرْوَ إذا اسْتَوْلَى عَلَى الْأهْلِينَ الْخَوْفُ وَالْفَزَعُ ، وَتَمَلَّكَهُمُ الرُّعْبُ وَالْهَلَعُ . وَلا عَجَبَ إذا أطْلَقُوا عَلَيْهِ لَقَبَ : «غُولِ النِّساءِ » ، بَعْدَ أنْ كانُوا يُطْلِقُونَ عَلَيْهِ لَقَبَ : « حارِسِ الْعَدالَةِ » .

٥ — الشَّقيقَتانِ

وَرَجَعَ الْوَزيرُ « آزادُ » إلَى بَيْتِهِ — ذاتَ لَيْلَةٍ — مَحْزُوناً مَهْمُوماً ، لا يَدْرى كَيْفَ يَصْنَعُ مَعَ ذٰلِكَ الظّالِمِ الْمَخْبُولِ . وَكانَ لِـ « آزادَ » بِنْتانِ جَميلَتانِ ، كِلْتاهُما مَعْرُوفَةٌ بِرَجاحَةِ الْعَقْلِ ، وَكَريمِ الْخِصالِ . اسْمُ الْكُبْرى مِنْهُنَّ : «شَهْرَ زادُ» ، وَاسْمُ صُغْراهُنَّ : « دُنْيا زادُ » . وَكانَتْ « شَهْرَ زادُ » تَجْمَعُ بَيْنَ الشَّجاعَةِ وَالْألْمَعيَّةِ وَحُبِّ الْخَيْرِ . وَقَدْ طَهَّرَ اللهُ قَلْبَها مِنَ الْأنانِيَّةِ ، وَمَيَّزَها — فِيما مَيَّزَها بِهِ مِنْ شَريفِ الْخِلالِ — بِالْإيثارِ ، فَلَمْ تُقَصِّرْ فِي مُعاوَنَةِ الْبائِسِينَ ، وَدَفْعِ الْأذَى عَنِ الْمَظْلُومينَ . وَكانَتْ — إلَى ذٰلِكَ — مَشْغُوفَةً بِالْقِراءَةِ وَالدَّرْسِ ، دائِبَةَ الِاطِّلاعِ عَلَى كُتُبِ التّاريخِ وَالْأدَبِ ، دائِمَةَ الْبَحْثِ وَالتَّنْقيبِ فِي سِيَرِ الْماضِينَ ، وَأَخْبارِ الْأوَّلِينَ . فَلَمْ تَتْرُكْ شَيْئاً يَصِلُ إلَيْهِ عِلْمُها مِنْ نَفائِسِ الْكُتُبِ ، إلَّا جَلَبَتْهُ إلَى قَصْرِها ، وَحَفِظَتْ رَوائِعَهُ فِي صَدْرِها .

٦ — حَيْرَةُ « آزادَ »

فَلَمّا رَأَتْ أَباها مُسْتَسْلِماً لِهَواجِسِهِ وَأَشْجانِهِ ، مُسْتَغْرِقاً فِي هُمُومِهِ وَأَحْزانِهِ ، اقْتَرَبَتْ مِنْهُ مُسْتَعْطِفَةً ، وَسَأَلَتْهُ مُتَلَطِّفَةً ، لِتَعْرِفَ ما حَزَنَهُ وَغَمَّهُ ، وَأَقْلَقَ بالَهُ وَأَهَمَّهُ . فَرَوَى الْوَزيرُ لِبِنْتِهِ قِصَّةَ « شَهْرِ يارَ » ، وَكَيْفَ ساءَ طِباعُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ حالُهُ مِنَ الرَّحْمَةِ إلَى الْقَسْوَةِ ، فَراحَ يَفْجَعُ النّاسَ فِي بَناتِهِنَّ ، وَيَقْتُلُ زَوْجاتِهِ فِي — كُلِّ صَباحٍ — فَلا تَكادُ

تُشْرِقُ شَمْسُ يَوْمِهِ ، حتّى تغرُبَ مَعَها شَمْسُ حياةِ زَوْجِهِ ، دُونَ أنْ تَأْخُذَهُ فِي واحِدَةٍ مِنْهُنَّ رَحْمَةٌ وَلا شَفَقَةٌ .

٧ — ثَوْرَةُ « شَهْرَزادَ »

فَسَأَلَتْهُ « شَهْرَزادُ » مُتَعَجِّبَةً : « كَيْفَ يَكُونُ هٰذا ؟ وَما فائِدَةُ الْعَقْلِ إذا لَمْ يُنْقِذْ بَنِي الإِنْسانِ ، وَيُخَلِّصْهُمْ مِنْ صُنُوفِ الضَّيْمِ والْهَوانِ ؟ أَلَيْسَ فِي الدَّوْلَةِ كُلِّها حَكِيمٌ شُجاعٌ يَبْذُلُ لَهُ النُّصْحَ ، لَعَلَّهُ يَكُفُّ عَنْ هَذَيانِهِ ، وَيُقْلِعُ عَنْ طُغْيانِهِ ؟» فقالَ « آرادُ » : « لَيْسَ فِي الدُّنْيا كُلِّها مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى نُصْحِ هٰذا الثّائِرِ الْمَخْبُولِ ! » فَقالَتْ « شَهْرَزادُ » : « إذا اجْتَمَعَ الرَّأْيُ والشَّجاعَةُ لِكائِنٍ كانَ ، تَيَسَّرَ لَهُ الصَّعْبُ وهانَ ! »

٨ — غَضْبَةُ الْوَزِيرِ

فَقالَ لَها مُتَعَجِّباً : « كَيْفَ تَقُولِينَ ؟ لَقَدْ عَجَزَ حُكَماءُ الدَّوْلَةِ وَمُفَكِّرُوها عَنْ مُعالَجَةِ أَمْرِهِ ! » فَقالَتْ «شَهْرَزادُ» : «لَوْ أَذِنْتَ لِي - يا أَبِي - فِي لِقائِهِ ، لَعَرَفْتُ كَيْفَ أَرْجِعُهُ إلَى الصَّوابِ ، وَأَسْتَعِيدُ ما فَقَدَهُ مِنَ الثِّقَةِ بِبَناتِ جِنْسِي ، وَأَكُفُّ عَنْهُنَّ شَرَّهُ وَأَذاهُ ، طُولَ الْحَياةِ . » فَصَرَخَ الْوَزِيرُ مُفْزَعاً مِنْ شَناعَةِ ما سَمِعَ ، وَقالَ :

« أَيَّ هَذَيانٍ تَنْطِقِينَ ؟ وَبِأَيِّ عَقْلٍ تُفَكِّرِينَ ؟ وَعَلَى أَيِّ هَوْلٍ تُقْدِمِينَ ؟ لَقَدْ كُنْتِ - حَتَّى قُبَيْلَ هٰذِهِ اللَّحْظَةِ - مِثالَ التَّعَقُّلِ وَالْحِكْمَةِ . فَما بالُ الْحَماقَةِ وَالْغَفْلَةِ تَسْتَوْلِيانِ عَلَيْكِ ، وَتَطُوِّحانِ بِكِ فِي مَطاوِحِ الْهَلاكِ ؟ »

٩ — واجِبُ الْقادِرِ

فَقالَتْ لَهُ مُتَوَدِّدَةً باسِمَةً : « أَتُرَى - يا أَبَتاهُ - أَنَّ مِنَ الْحَماقَةِ وَالْغَفْلَةِ أَنْ يَبْذُلَ الْقادِرُ جُهْدَهُ فِي مُساعَدَةِ الْعاجِزِ ؟ أَلَيْسَ مِنْ وَاجِبِ السَّابِحِ الْماهِرِ أَنْ يُنْقِذَ الْمُشْرِفَ عَلَى الْغَرَقِ ، وَلَوْ عَرَّضَ حَياتَهُ لِلتَّلَفِ ؟ أَلَيْسَ مِنْ واجِبِ الطَّبِيبِ أَنْ يُكافِحَ الطّاعُونَ وَالْوَباءَ ، دُونَ أَنْ يَثْنِيَهُ (يَرْجِعَهُ) عَنْ ذٰلِكَ ما يَتَعَرَّضُ لَهُ مِنَ الْمَخاطِرِ ؟ أَلَيْسَ مِنْ وَاجِبِ الْجُنْدِيِّ أَنْ يُجابِهَ (يُواجِهَ) الْمَوْتَ فِي سَبِيلِ بِلادِهِ ؟ فَما بالِي أَحْرِصُ عَلَى الْحَياةِ ؟

وَكَيفَ أُحجِمُ عَنْ دفعِ الأَذى عَنْ بناتِ جِنسِي ، وَأَنا قادِرَةٌ عَلى إنقاذِهِنَّ ؟ أَلَمْ تقلْ لِي مِنْ قبلُ : إِنَّ اللهَ فِي عونِ الإِنسانِ ما دامَ الإِنسانُ فِي عونِ غيرِهِ ؟ »

١٠ — لُغَةُ الحَيوانِ

فقالَ لَها الوزيرُ : « ما أَبلَغَ حُجَّتَكِ ، وَأَعظَمَ شَجاعَتَكِ ! وَلٰكِنَّ أَخوفَ ما أَخافُهُ عَلَيكِ ، أَنْ يُصيبَكِ ما أَصابَ « أَبا توْلَبٍ » ، حِينَ تَصَدَّى لإِنقاذِ صاحِبِهِ : « الأَخنَسِ » ؛ فَجُوزِيَ عَلَى صَنيعِهِ شَرَّ الجَزاءِ . »

فَقالَتْ لَهُ مُتَعَجِّبَةً : « ما سَمِعتُ بِهٰذِهِ القِصَّةِ مِنْ قَبلُ ! وَما أَشوَقَنِي إِلى سَماعِها ! »

فَقالَ « آزادُ » : « عاشَ فِي قَديمِ الزَّمانِ تاجِرٌ مِنْ أَغنِياءِ الرِّيفِ ، اسمُهُ : « عَمَّارٌ » ، عَلَّمَهُ صاحِبٌ لَهُ مِنَ الجِنِّ لُغَةَ الحَيَوانِ ، بَعدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيهِ العُهُودَ وَالمَواثِيقَ أَنْ يَكتُمَ سِرَّهُ فَلا يَبُوحَ بِهِ لِكائِنٍ كانَ ، وَأَنذَرَهُ بِالهَلاكِ ، إِذا خالَفَ ما عاهَدَهُ عَلَيهِ .

١١ - شَكوَى الأَخنَسِ



وَمَرَّ « عَمَّارٌ » — ذاتَ يَومٍ — فِي دَسْكَرَتِهِ ، عَلَى مَقرُبَةٍ مِنْ حِمارٍ وَثَوْرٍ . فَسَمِعَ الثَّوْرَ يَقُولُ لِلحِمارِ شاكِياً مُتَأَلِّماً : « ما أَهنَأَ بالَكَ — يا « أَبا توْلَبٍ » — وَأَسعَدَ عَيشَكَ ، وَأَقَلَّ تَعَبَكَ ! لَقَدِ اجتَمَعَ لَكَ كُلُّ ما شِئتَ مِنْ أَسبابِ الرَّاحَةِ وَالطُّمَأنِينَةِ . فَعِندَكَ خادِمٌ يَرعاكَ لَيلَ نَهارَ ، وَلا يُقَصِّرُ فِي نَظافَتِكَ وَخِدمَتِكَ ، وَجَلْبِ ما تُحِبُّ ، مِنْ ماءٍ عَذْبٍ ، وَطَعامٍ سائِغٍ . لا يُقَدِّمُ لَكَ الشَّعِيرُ وَالفُولُ وَالتِّبنُ إِلَّا مُغَرْبَلاً مُنَقًّى . وَلَيسَ لَكَ مِنْ عَمَلٍ تُؤَدِّيهِ أَكثَرَ مِنْ أَنْ تَحمِلَ التَّاجِرَ ، إِذا أَرادَ النُّزْهَةَ . أَمَّا أَنا ، فَأَلْقَى